Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قدمنا من قبل، والذى نهى عن السجع بقوله: "أسجعًا كسجع الكهان". فقد شغل هذا الحديث القائمين على شرح قضايا الإعجاز القرآنى والتفسير البلاغى، وأول ما يعثر عليه فى هذا الصدد ما قدمه أبو عثمان الجاحظ فى سياق الحوار الدائر بين عبد الصمد بن عيسى الرقاشى ومحدثيه من المسجديين بالبصرة، حيث تأمّل "عبد الصمد" ما فى حوزته من عبارات الرجل التى أنشأها على غرار أسجاع الجاهلية فلم يجد فيها شبهة تكلّف من حيث الصياغة بيد أنه ربطها بمقصد الرجل إلى إبطال الحق المأمور به متوسلاً طريق التشادق فى القول. أورد الجاحظ قول الرقاشى: "لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن، لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لحق فتشادق فى الكلام".(١)

وقد اتخذ "الباقلانى" من ذلك الحديث مؤيدًا لنفى السجع من القرآن، ويعلل نفيه بعيدًا عن الصياغة جاعلاً من الكهانة وحدها دافعًا لذلك قال: "كيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب؟ ونفيه من القرآن أجدر بأن تكون حجة من نفى الشعر؛ لأن الكهانة تنافى النبوات وليس كذلك الشعر".(٢)

أما أبو هلال العسكرى فإنه يتجه بصورة تعسّفية إلى تأكيد سيادة التكلّف فى عبارات الرجل انطلاقا من موقف مسبق ينهض على الاعتقاد التام فى تفشّى التكلف فى سجع الكهان.(٣) ويذهب ابن الأثير إلى مثل هذا القول: "فالسجع إذا ليس بمنهى عنه، وإنما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكهان؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسجعاً كسجع الكهان؟ أى: أحكما كحكم الكهان؟"،(٤) إذ "لو كره النبى صلى الله عليه وسلم السجع مطلقا لقال: "أسجعًا. ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لِمَ كان، فلما قال: "أسجعًا كسجع الكهان" صار المعنى معلقاً على أمر".(٥) فالسجع عند ابن الأثير ليس مذمومًا فى ذاته، وكذلك كلام الرجل "فالسجع الذى أتى به... كلام حسن من حيث السجع، وليس بمنكر لنفسه؛ وإنما

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، جـ١، ص ٢٧٦.

(٢) إعجاز القرآن، الباقلانى، ص ١١١.

(٣) انظر: الصناعتين، العسكرى، ص٢٨٦.

(٤) المثل السائر، ابن الأثير، جـ١، ص١٩٧.

(٥) المصدر نفسه، جـ١، ص ١٩٦.